1430هـ/2009م

نقد التأصيل اللغوي للشعر الجاهلي

أ.م.د. باسم إدريس قاسم*

تاريخ التقديم: 2008/7/17 تاريخ القبول: 2009/1/21

التأصيل اللغوي الذي أودعه علماؤنا العرب القدماء في كتبهم اللغوية والأدبية وغيرها ومعاجمهم الضخمة عمل جليل وعظيم ودقيق لا نعلم علماء أمة من الأمم القديمة قاموا بمثل ما قام به أولئك العلماء الأفذاذ من سلفنا الصالح رحمهم الله وجزاهم خير الجزاء. فقد كانوا مستقرئين للغة واعين للأصول والاشتقاقات مستنبطين دقائقها ومحيطين بها وبثرائها وغناها الكبير بالمعاني والدلالات. ومن الطبيعي أن يكون تأصيلهم هذا للغة محكوما بعصورهم وما انتهت إليه علومهم ومعارفهم سواء في العربية أو في اللغات الأخرى، ولذلك نجدهم يعيدون كلمات كثيرة في تأصيلها اللغوي أو تعريبها إلى الفارسية أو العبرية أو السريانية أو اللاتينية أحيانا.

ونحن اليوم وبحكم التطور العلمي أوسع منهم معرفة باللغات لاسيما القديمة منها والتي ترتبط بالعربية وتعد شقيقات لها أكثر من بعض اللغات المذكورة آنفاً التي كانوا يعرفون صلتها بالعربية وقربها منها، بما فتح الله على الناس باكتشاف الآثار واللغات القديمة على يد المستشرقين ثم آثاريينا ولغوييينا العرب المحدثين والمعاصرين من المعرفة باللغات العاربة (المعروفة بالسامية أو الجزرية) شقيقات اللغة العربية وهي الأكدية (البابلية والأشورية) والكنعانية والعبرية والآرامية والعربية الجنوبية(السبئية والمعينية والقتبانية وغيرها) والحبشية وغيرها، وغير العاربة وأشهرها السومرية والمصرية القديمة.

ولذلك يرى الدارسون الآن مستشرقين وعرباً أن في عمل العلماء العرب الأوائل نقصا في التأصيل اللغوي على عظمته يمكن ان يستدركه اللغويون العرب

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

المحدثون ويكملوه بالإفادة من المعرفة الحديثة باللغات القديمة، يقول ولفنسون: "على أننا إذا أعفينا الجمهور من البحث في غوامض التأريخ القديم للأمم السامية فإننا لا نعفي من يشتغل بدراسة اللغة العربية ويتوغل في تحليل نحوها وصرفها وبلاغتها إذا كانت في ذلك كله متأثرة بأخواتها من اللغات السامية "[1]. ويقول أستاذنا الكبير الدكتور عامر سليمان في أهمية دراسة اللغة الأكدية مثلا في التعرف على اللغة العربية: "ان لدراسة اللغة الأكدية ذاتها والتعرف على تأريخها وسماتها وقواعدها وأوجه الشبه بينها وبين اللغة العربية أهمية قصوى وبخاصة للمتكلمين بالعربية والمهتمين بتأريخها وتأصيل مفرداتها ودراسة نحوها وصرفها، فقد تعين الأكدية كثيرا على بيان أصالة اللغة العربية وفهم كثير من الظواهر اللغوية فيها ومعرفة أصول الوافر من مفرداتها اللغوية مما عجز عن فهمه ومعرفته النحاة واللغويون العرب المسلمون لعدم معرفتهم باللغة الأكدية"[2].

وبحثي هذا هو تواصل مع علماء اللغات القديمة بالإفادة منها في نقد التأصيل اللغوي العربي الذي أقامه علماؤنا العرب، والوصول من خلال ذلك إلى محاولة فهم الشعر الجاهلي فهماً جديداً أو لنقل مختلف عن المألوف والشائع والمتوارث عن القدماء من فهم مفرداته ومعانيها ودلالاتها، ومحاولة قراءة هذا الشعر وفك رموز لغته ودلالات مفرداته وألفاظه كما تقرأ الكتابات الآثارية وتفك لغة رموزها ودلالات ألفاظها جرياً على منوالها العلمي.

إن التقارب الكبير جدا بين اللغات العارية ومنها اللغة العربية يشجع الدارس على أن يحاول تفحص التأصيل اللغوي العربي من حيث دقته وعمقه وقوته وعلميته للدخول إلى دراسة جديدة في تأصيل لغة الشعر الجاهلي بالاعتماد على اللغات العارية شقيقات اللغة العربية وغير العارية. هذه الدقة والعلمية المذهلة التي نجد مثلها الأعلى في عقلية أول معجمي عربي فذ ومؤصل للغة وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي مع عدم علمه باللغة الأكدية يؤصل كلمة (ليس) العربية تأصيلا يتفق تماما مع أصلها في اللغة الأكدية شقيقة العربية بأنها مكونة من (لا)

(1) من مقدمة كتابه (تأريخ اللغات السامية).

(2) المعجم الأكدي 1: 14.

النافية و (أيس) التي تعني (يوجد)، وهي في الأكدية (البابلية): (لاشو laššu) وأصلها (لايشو lā-išû) بالشين بدل السين في العربية وهي تبدل منها كثيرا في الأكدية وتعني (لا يوجد) أيضا [1]. ومن الجدير بالذكر أن الفلاسفة المسلمين استخدموا أيضا (الأيس) بمعنى الوجود والموجود و (ليس) بمعنى العدم واللاوجود ربما لان (أيس) في اللاتينية بهذا اللفظ والمعنى أيضا كما هي في العربية.[2]

إننا لم نكن نعرف (ليس) الا أنها مفردة واحدة معناها النفي في التأصيل اللغوي العربي – عدا تأصيل الخليل لها – فتأكد لنا من خلال اللغة الأكدية تأصيل الخليل من أنها ليست مفردة واحدة بل مفردت ين محصلة معنيهما النفي. فالتأصيل اللغوي العربي كما سنرى في هذا البحث لا يعرف في الأغلب من أصل الكلمات إلا محصلات معانيها تخميناً وحدساً من سياق النصوص القرآنية أو الشعرية أو غيرهما دون الدلالات الأصلية الجذرية الأولى لتلك المفردات مما قبل محصلات معانيها. ولذلك يقول ولفنسون وغيره في قصور التأصيل اللغوي العربي وضرورة التئامه بمعرفة اللغات العاربة الأخرى: "لأنه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر في بحثه على لغة سامية واحدة. لكنه إذا وازن بين اللغات السامية التي تشترك في كلمة من الكلمات استطاع أن يهتدي بسهولة إلى الحقيقية الواضحة في أصل اشتقاقها"[3].

ولنبدأ في هذه الموازنة بين اللغات العاربة وغيرها والتدقيق في تأصيلنا اللغوي العربي مع اسمنا القومي وهو كلمة (العرب) التي أصلها العلماء بقولهم: "وقيل: إن أولاد إسماعيل نشؤوا بعَرَبة وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم... قال الأزهري: والأقرب عندي أنهم سموا عربا باسم بلدهم العربات. وقال اسحق بن

(1) ينظر: كتاب العين 7: 300، CDA.p:179، من تراثنا اللغوي القديم– ما يسمى في العربية بالدخيل/ طه باقر: 54، المعجم الأكدي 1: 105.

(2) ينظر: المعجم الفلسفي/ جميل صليبا 1: 183–184.

(3) تأريخ اللغات السامية: 217. وينظر: من تراثنا اللغوي القديم: 3 –10، اللغات السامية/ تيودور نولدكه: 3 (من مقدمة المترجم الدكتور رمضان عبد التواب)، التضاد في ضوء اللغات السامية –دراسة مقارنة/ربحي كمال:4.

الفرج: عربة باحة العرب وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام... وأقامت قريش بعَرَبة فتنخت بها وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عَرَبة لأن أباهم إسماعيل "صلى الله عليه وسلم " بها نشأ وربل أولاده فيها"[1].

فنحن لا نجد طائلاً من تأصيل علماء العربية لهذه الكلمة؛ فما هي عرَبَة والعَرَبَات اللتان سمي بهما العرب؟ ! والظاهر من نصوصهم أنهم يقصدون بهما مكة، ولا نعلم في التأريخ العربي أو غيره تسمية مكة بعَرَبة أو عَرَبات ! ولذلك يقول الدكتور جواد علي: "وإذا سألتني عن معنى لفظة (عرب) عند علماء العربية فإنني أقول لك: إن لعلماء العربية آراء في المعنى تجدها مسطورة في كتب اللغة وفي المعجمات. ولكنها كلها من نوع البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة، وضعت على الحدس والتخمين"[2]. ومن الغريب أن كلمة (العرب) لم ترد مطلقا في الجاهلية في نصوص العربية الشمالية ومن أهمها الشعر الجاهلي المشهور والموثق (وقد وردت في بعض المنحول وغير المشهور منه)، وأول ورود لها موثق وصحيح جاء في القرآن الكريم[3].

ولو عدنا إلى اللغات العاربة وغيرها نستنطقها ونفيد منها في تأصيل هذه الكلمة ومعرفة دلالتها ومعناها وصور تلفظها لوجدناها بمعنى البداوة وسكنى الصحراء والأعرابية في كل اللغات العاربة – ومنها العربية – وغيرها؛ في الأكدية (البابلية والآشورية) والعبرية والفارسية واليونانية واللاتينية وغيرها. وهي تلفظ في هذه اللغات بصور شتى منها (عَرَبة أو عَرابة) وهو اسم العرب وبلادهم في العبرية مما عرفه وأخذه عنهم علماء العربية في نصهم المذكور سابقاً وغيره دون دراية منهم بماهية معناه وأصل دلالته، ومنها بصور (أريبي Aribi أي عريبي) و (أروبو Arubu أي عَروبُ) و (أريبو Aribû أي عَريبُ) و (ارابو ar'abu أي

(1) لسان العرب/ ابن منظور 1: 587–588 مادة (عرب) تنخت: أقامت، ربل: كثر . ينظر: معجم البلدان/ ياقوت الحموي 4: 96 –98 مادتا (عربات وعربة).

(2) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام 1: 14.

(3) ينظر: م. ن 1: 23–24.

عَرَبُ) و (أَربَي Arabi أي عربي أو أعرابي) في الكتابات الأشورية [1]. كلها بالهمزة بدل العين؛ لان الأكدية (الأشورية) لا يوجد فيها حرف العين.

وإذا كنا لم نجد لفظة (العرب) أو (العربي) بهذه الصورة في الشعر الجاهلي – إلا في المنحول وغير المشهور منه – فهل يعقل ان الشعراء الجاهليين لم يذكروا اسمهم القومي في أشعارهم الكثيرة (مع تأكيدنا على ضرورة معرفتهم به وانتشاره عندهم لأن القرآن خاطبهم به ولم يكن الله ليخاطبهم بما لم يعرفوه من اسمهم القومي)؟ ولقد وجدتها بصورة عاربة وعربية أخرى في الشعر الجاهلي مما لم يعرف تأصيله ودلالته العلماء العرب فحرفوه في تخمين وحدس معناه إلى معنى آخر، وهي لفظة (عريب) الواردة في الكتابات الأكدية .من ذلك قول عبيد بن الأبرص:[2]

فَعَرَدَةٌ فقَفا حِبِرٍّ ليس بها منهمُ عَريبُ

وقول الأعشى:[3]

لم يَدَعوا بعدهم عَريبا فغَنِيت بعدهم نِزارُ

وقول ثعلبة بن عمرو:[4]

إنّ عَرِيباً وإنْ ساءني أحبُّ حبيب وأدنى قريبْ
أخي وأخوكَ ببطن النُّسَيـر ليس به من معدٍّ عَريبْ

وغيرها من الأبيات التي أوّل علماء العربية وشرّاح الشعر فيها كلمة (عريب) بمعنى (أحد) وأوجبوا معها النفي [5] على الحدس والتخمين من ظاهر النصوص وسياقها، على حين أنها تعني في التأصيل العارب (عربي أو أعرابي) فلا يلزم النفي معها بدلالة عدم لزومه في البيت الأول من بيتي ثعلبة.

---

(1) ينظر: CDA.p:23. المفصل في تأريخ العرب 1: 16–21.
(2) ديوان عبيد بن الأبرص: 23.
(3) ديوان الأعشى الكبير: 283.
(4) ديوان المفضليات/ المفضل الضبيّ: 511، 513.
(5) ينظر: م. ن: 513، اللسان 1: 592 مادة (عرب).

ولو تحرينا في الموازنة بين اللغات القديمة والتأصيل العربي عن كلمة (كأس) المشهورة في العربية بمعنى زجاجة الخمر ووعائها، لوجدنا أن (كاس Kas أو كاش Kaš) تعني في السومرية الخمر نفسها [1] اسما لها وليس لزجاجتها أو وعائها على المشهور في العربية. وفي التأصيل العربي: "الكأس :الزجاجة ما دام فيها شراب. وقال أبو حاتم: الكأس الشراب بعينه وهو قول الأصمعي. وكذلك كان الأصمعي ينكر رواية من روى بيت أمية (للموت كأس) وكان يرويه (الموت كأس)... ابن سيده: الكأس الخمر نفسها اسم لها. وفي التنزيل العزيز{يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ } وأنشد أبو حنيفة للأعشى:

وكأسٍ كعين الديك باكَرتُ نَحوَها بفتيان صِدقٍ والنواقيسُ تُضرَبُ

وأنشد أبو حنيفة أيضا لعلقمة:

كأسٌ عزيزٌ من الأعنابِ عتّقها لبعض أربابها حانيّةٌ حُومُ

قال ابن سيده: كذا أنشده أبو حنيفة (كأسٌ عزيزٌ) يعني أنها خمر تعز فينفس بها إلا على الملوك والأرباب... والكأس أيضا الإناء إذا كان فيه خمر. قال بعضهم: هي الزجاجة ما دام فيها خمر فإذا لم يكن فيها خمر فهي قدح... قال ابن الأعرابي: لا تسمى الكأس كأسا الا وفيها الشراب. وقيل: هو اسم لها على الانفراد والاجتماع"[2].

فالأصمعي وأبو حاتم السجستاني وأبو حنيفة الدينوري وابن سيده في هذا النص وغيرهم يتفقون مع التأصيل السومري للكأس من أنها الخمر نفسها وليست الزجاجة، وكذلك دلالة الآية القرآنية والأشعار الجاهلية. ونلاحظ أن تأكيد اللغويين – حتى مع عدم تسليمهم بأن الكأس هي الخمر نفسها –على وجوب الارتباط والتلازم بين الكأس والخمر في هذا الاسم بالذات يدل على جوهرية الخمر في اسم الكأس ويدل من ثم على أرجحية معنى الخمر فيها. ومن الآيات التي تدل على ذلك الآيتين الواردتين في النص وتتمتهما من قوله تعالى: { يُطَافُ عَلَيْهِم

(1) ينظر: قاموس العلامات المسمارية–رينيه لابات: 123، مقدمة في أدب العراق القديم/طه باقر:158.

(2) اللسان 6: 189 مادة (كأس).

بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ {45} بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ {46} لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ {47} }[1]. وكل ما بعد الكأس في هذه الآيات من وصفها، وهي أوصاف للخمر ولا تصح أن تكون أوصافا للزجاجة. ومن الآيات الأخرى الدالة على ذلك أيضا قوله تعالى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {17} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {18} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ { 19} }[2]. فقد ذكرت أكواب الخمر وأباريقها بصيغة الجمع المتفقة مع الجمع في (عليهم) و(الولدان) ثم ذكرت الكأس الموزعة عليهم في الأكواب والأباريق بصيغة المفرد وأنها صافية متدفقة من معين وأنهم لا يصدون عنها ولا تغتال عقولهم، وكل ذلك يؤكد أن الكأس في هذه الآيات هي الخمر وليست الزجاجة. ومن الآيات الأخرى قوله تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا { 5}عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا { 6} }[3] وقوله: { وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا { 15} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا { 16}وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا { 17} عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا {18} }[4]. فقد ذكرت آنيتها وأكوابها أيضا بصيغة الجمع ثم ذكرت الكأس أي الخمر التي تسقى بها بصيغة المفرد وما مزجت به، ومنها أيضا قوله تعالى: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ { 23} }[5] ومنها: { إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا { 31} حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا { 32} وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا { 33} وَكَأْسًا دِهَاقًا { 34} لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا {35} }[6]. فالكأس الدهاق هي الخمر الكثيرة الوافرة – وليست كما فسرت على معناها المشهور بأنها القدح المملوء – لأنها تؤخذ من (العيون) التي يفجرها الله لهم في الجنة وليس من الدنان القليلة كخمر الدنيا، وهو المرجح من معنى (معين)عندي في الآيات المذكورة وليس كما فسر بالجريان أو

(1) الصافات: 45–47.
(2) الواقعة: 17–19.
(3) الإنسان: 5، 6.
(4) س. ن: 15–18.
(5) الطور: 23.
(6) النبأ: 31–35.

الظاهر للعيون. ومن الراجح لدي أيضا أن عدم سماع اللغو والكذب في الآية الأخيرة مرتبط بشرب هذه الخمر وليس بالجنة كما فسر بذلك [1] بدلالة التصريح بهذا الارتباط في الآية السابقة لها . ولأجل ذلك كله من دلالة الآيات يقول الاخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وكذا عن ابن عباس وغيرهما[2].

أما الأشعار الجاهلية الكثيرة جدا الواردة فيها لفظة (الكأس) فالأرجح فيها كلها كما الآيات القرآنية أنها بمعنى الخمر وليس القدح. ولا مجال لضرب الأمثلة على ذلك ففيما ذكره أبو حنيفة في النص السابق كفاية.

ولو أننا تناولنا كلمة (بطل) الواردة كثيراً في الشعر الجاهلي بالتدقيق والموازنة في تأصيلها اللغوي بين اللغات العاربة والعربية المعجمية لوجدنا علماء العربية مضطربين في تأصيل دلالتها ومعناها ويفسرونها بها من قبيل (وفسر الماء بعد الجهد بالماء) مما لا طائل منه من الحدس والتخمين دون المعرفة العلمية الدقيقة، فيقولون: "البطل: الشجاع... وقيل إنما سميّ بطلاً لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها. وقيل سميّ بطلاً لأن الأشداء يبطلون عنده. وقيل :هو الذي تَبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر" [3] إلى غير ذلك من التأويلات والتخمينات غير المقنعة ولا القائمة على دليل وبرهان علمي محكم.

فإذا عدنا إلى اللغات العاربة لنفيد منها في تأصيل هذه الكلمة وجدنا فيها كلمة (بَتُولُ batūlu) الأكدية التي تعني الشاب الفتي، ومؤنثه (بَتُولتُ batultu) أي الشابة أو الفتاة، بإضافة التاء إلى آخر المذكر للتأنيث كالعربية. ومؤنثه يطابق في العربية كما هو واضح لفظاً ومعنىً كلمة (البتول) وهي المرأة العذراء، وكذلك هي في الكنعانية والآرامية[4]. ولذلك أرجح أن المعنى الأصل لكلمة (بطل) (بطل) العربية هو معنى (بَتولُ) نفسه بدلالة تطابق اللفظين لاسيما لو فخمت التّاء

---

(1) ينظر :الكشاف/ الزمخشري 3: 340 تفسير الفخر الرازي 26: 137، 31: 21–22، الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي 17: 132، 19: 119–120.

(2) ينظر: الكشاف 3: 340.

(3) اللسان 11: 56 مادة (بطل).

(1) ينظر : CDA.p:41، قاموس العلامات المسمارية: 147، من تراثنا اللغوي القديم: 57، المعجم الأكدي 1: 146.

إلى طاء –أي الشاب الفتي الذي يكون ممتلئاً حيوية وقوة وشجاعة وهي من لوازم البطولة. وصفة الشاب ملازمة لكل الأبطال القدماء مثل كلكامش وهرقل وأخيل وأوديسيوس والاسكندر وغيرهم. ومما يؤكد ذلك عندي أن كلمة (الفتى) في الشعر الجاهلي تؤدي معنى(البطل) كما في قول طرفة بن العبد:[1]

إذا القومُ قالوا: مَنْ فتىً؟ خِلْتُ أنَني عُنِيتُ فَلَمْ أكسَلْ ولم أتبلّـ ـدِ

وقوله:[2]

على مَوطنٍ يخشى الفتى عنده الرَّدى متى تعترِكْ فيه الفرائصُ تُرعَدِ

أي يخشى البطل الشجاع عنده الموت. وقول امريء القيس يفخر بنفسه فوق ناقته:[3]

عليها فتى لم تحمل الأرضُ مِثلَهُ أبرَّ بميثاقٍ وأوفى وأصـ ـبرا

وقول عنترة مفاخراً بنفسه وحصانه الذي يقدمه في الحرب:[4]

يُقدِّمه فتى من خير عبسٍ أبوه، وأُمُّه من آل حامِ

وقوله:[5]

عَجِبَتْ عُبَيلَةُ من فتى متبذِّلٍ عاري الأشاجع شاحبٍ كالمُنصُلِ

فلاحظ كيف أن بين كلمتي (البطل) و (البتول) تباعدا واختلافا لا تتقاربان معه في التأصيل العربي وباستعانتنا باللغات العاربة تصبحان متقاربتين جدا لأنهما متقابلتان بين التذكير والتأنيث.

وإذا أصّلنا كلمة (الشعر) نفسها في العربية وجدنا العلماء يؤصلونها بمعنى العلم والمعرفة فيقولون: "الشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً... وقال الأزهري: الشعر القريض المحدد بعلامات

(2) ديوان طرفة بن العبد: 29.
(3) م. ن: 41.
(4) ديوان امريء القيس: 65.
(5) ديوان عنترة: 245.
(6) م. ن: 253.

لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم"[1]. فهم يؤصلونها تخمينا من لفظها أي من الشعور والإحساس اللذين يؤديان إلى العلم والمعرفة بالأشياء. ولفظه في السومرية (سِيْر sir أو شِيْر) وفي البابلية (شيرو šēru) وفي العبرية (شير) وفي الآرامية (شور) وهو يعني في تأصيله فيها الغناء والإنشاد[2]. والشعر في الجاهلية مرتبط بالغناء والإنشاد أيضا في أصل وجوده كما هو حاله في اللغات العاربة الأخرى وغيرها ولذلك يقال (أنشد الشعر) و (تغنّى بالشعر) وغير ذلك [3]. فتأصيل كلمة (الشعر) العربية بمعنى الغناء والإنشاد أرجح وأولى من تأصيلها المعجمي بمعنى العلم والمعرفة.

ومن الكلمات الأخرى التي تحتاج إلى تأصيل جديد كلمات (شمام والشمم وأشم وشماء) التي أصّلها العلماء بقولهم: "الشم :حس الأنف... والشمم في الأنف: ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة... وإذا وصف الشاعر فقال أشم فإنما يعني سيداً ذا أنفة ...ورجل أشم وامرأة شمّاء... وجبل أشم أي طويل الرأس بيّن الشمم فيهما... والشمام :جبل له رأسان يسميان ابني شمام... قال لبيد:

فهل نُبِّئتَ عن أخَوَينِ داما على الأحداث إلاّ ابني شَمامِ "[4]

وهي كلها بمعنى الارتفاع والسمو ومجازيا بمعنى الكبرياء والتعالي.

ولاحظ كيف جعلوه بصلة اشتقاق من (شم الأنف) وإذا كان من علاقة اشتقاق مع معاني هذه الكلمات فتكون مع الأنف والأنفة كما أصلوا وليست مع (الشم) أي الرائحة، فلا علاقة له بهذه المعاني ومن ثم لن تكون اشتقاقات هذه الألفاظ منه على ما هو عليه تأصيلهم.

ولو عدنا إلى اللغات العاربة شقيقة العربية لنعرف منها التأصيل الأقرب

---

(1) اللسان 4: 410 مادة (شعر).

(2) ينظر:CDA.p:368 ، ملحمة كلكامش/طه باقر: 22، 29–30، من تراثنا اللغوي القديم: 108.

(3) ينظر: من تراثنا اللغوي القديم: 108، الشاعر والوجود في عصر ما قبل الإسلام / باسم ادريس: 45–66.

(4) اللسان 12: 325–327 مادة (شمم).

والأدق والأكثر معقولية لوجدنا أن (شامو šamû) و (شمامو šamāmū) في البابلية تعنيان السماء والسماوات [1]. ولاحظ التطابق اللفظي والمعنوي والتقارب الكبير بين (شامو و شمامو) الأكديتين و (وسماء و شَمامُ و شَمَمُ) العربيات لاسيما وقد عرفنا كما مر سابقا في (ليس) و (كأس) و(شعر) وما سيأتي في (شهر) كثرة إبدال الشين في السومرية والأكدية مكان السين في العربية وبالعكس. ولعله ما يفسر أيضا التقارب الكبير بين (سماء) و (شَمّاء) العربيتين لفظا ومعنىً. وعلى هذا أرى أن كل ما جاء من اشتقاق لفظ (الشمم) في الشعر الجاهلي فهو يعود إلى السماء أو السماوات وعلوها مجازاً؛ فالشمم في الأنف معناه كما أرى علوّه إلى السماء وهو ما يؤدي معنى السمو والكبرياء والتعالي، لأنه ليس كل السادة أو المتكبرين تكون أنوفهم مرتفعة القصبة والأرنبة في حسن واستواء كما يستدعي ذلك التأصيل العربي. وكذلك هو معنى جبل أشم ورجل أشم وامرأة شمّاء أي يطاولون السماء ارتفاعاً ومجازياً في الرجل والمرأة تعالياً وكبرياءً . ومنه تسمية الجبل ورأسيه بابني شمام كما في بيت لبيد أي ابني السماء لأنهما يطاولانها . وبذلك أيضا أفسر قول امريء القيس يمدح المعلى حين نزل عليه فأكرمه:[2]

كأنّي إذ نزلتُ على المُعلّى نزلتُ على البَواذِخ من شَمامِ
فما مَلِكُ العراق على المُعلّى بِمُقتدرٍ ولا مَلِكُ الشآمِ

أي كأني نزلت على الجبال التي تطاول السماء، أو كأني نزلت عليه من السماء، لشدة إكرامه له واحتفائه به. وهذا غير ما فسره اللغويون والشراح بأن شماماً اسم جبل.

ومما يتصل بالمكان مما نحن في الحديث عنه وعلاقته بالأصل المشتق منه ننظر في تأصيل كلمة (فلاة) الواردة كثيراً في الشعر الجاهلي. فاللغويون يقولون في تأصيلها: "فلا الصبيَّ والمهر والجحش فَلْواً و فلاءَ وأفلاه وافتلاه: عزله عن الرضاع وفصَلَهَ... الفلاة: المفازة. والفلاة: القفر من الأرض لأنها فليت

(1) ينظر :CDA.p:353، 354، قاموس العلامات المسمارية: 49، ملحمة كلكامش: 33.
(2) ديوان امريء القيس: 140.

عن كل خير أي فطمت وعزلت. وقيل: هي التي لا ماء فيها... وقيل: هي الصحراء الواسعة"[1].

فلاحظ الاضطراب وعدم التيقن والمعرفة في تأصيل دلالة الكلمة لأنه قائم على التخمين والحدس والتأويل وفهم محصلة المعنى من سياق النصوص لاسيما من الشعر الجاهلي الواردة فيه كثيراً . وهم كما ترى قد أصّلوها من الفطم والعزل آخذين ذلك من (الفلو) أي الصبي أو المهر الذي فطم وعزل عن أمه كما قالوا، ولا علاقة كما ترى بينهما وبينها ! وهي في التأصيل العارب (فلوة) من وحدات قياس المسافات والطرق في العراق القديم لاسيما عند البابليين [2]. ولاحظ التطابق اللفظي مع الأصل الصرفي لكلمة (فلاة) في العربية وهو (فلوة) أيضا. وهذا التأصيل أنسب مع مسافات الصحاري التي يتحدث عنها الشاعر الجاهلي من التأصيل المعجمي بفطم الصبي أو المهر عن أمه؟!.

ومن تأصيل الكلمات المتعلقة بالمكان كلمة (الملاّح) أي ربان السفينة التي يؤصلها اللغويون بقولهم: "الملاح : النوتي، وفي التهذيب : صاحب السفينة لملازمته الماء المِلْح... ابن الأعرابي: المِلاح الريح التي تجري بها السفينة وبها سمي الملاح ملاحاً . وقال غيره: سمي السفان ملاحاً لمعالجته الماء الملح بإجراء السفن فيه" [3]. فهم يؤصلونها كما اعتدنا منهم على الظاهر من الكلمة نفسها تخمينا وحدسا فهو ملاح لتعلقه بالماء الملح أي ماء البحر الذي تجري فيه السفن. وهي في السومرية (ما -لاخ má-laĥ) وفي الأكدية (مالاخو malāĥu) وتعني (ما) السفينة و (لاخ) الذهاب والمجيء، فهو إذن الذي يسيّر السفينة ذهاباً ومجيئاً في البحر. وقد يكون لذلك كما يرى بعض الدارسين خاصاً بالعراق (وما جاوره على امتداد البحر جنوباً) لأن أهل الشام لا يسمونه بذلك بل يسمونه (النوتي) وهي كلمة يونانية الأصل [4]. ولعل ذلك ما يفسر وروده في شعر النابغة الذبياني

---

(1) اللسان 15: 164 مادة (فلا).

(2) ينظر: معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم/ حسن النجفي 2: 134.

(3) اللسان 2: 600–601 مادة (ملح).

(1) ينظر: CDA. p:192، قاموس العلامات المسمارية: 93، من تراثنا اللغوي القديم: 145، العربية/ يوهان فك: 203.

يعتذر للنعمان بن المنذر ملك العراق ويشبهه بالفرات الذي يقول فيه:[1]

يظلُّ من خوفه الملاّحُ مُعتصماً بالخيزُرانة بعَد الأين والنَّجَدِ

وفي شعر طرفة بن العبد الذي تعدّ بلاده البحرين امتداداً للعراق في الخليج العربي في قوله:[2]

عَدَوليَّةٌ أو من سفين ابنِ يامِنٍ يَجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي

وما دام الحديث قد قادنا إلى الكلام على العراق فلنضرب أمثلة من الموازنة في تأصيل أسماء الأماكن بين اللغات العاربة وغيرها والتأصيل اللغوي العربي. ونبدأ باسم وطننا العزيز (العراق) الوارد كثيراً في الشعر الجاهلي والذي حار في تأصيله اللغويون العرب حدسا وتخمينا مشتقين تأصيله من لفظه فقالوا: "العراق: شاطئ الماء، وخص بعضهم به شاطئ البحر، والجمع كالجمع. والعراق من بلاد فارس، مذكر، سمي بذلك لأنه على شاطئ دجلة، وقيل : سمي عراقاً لقربه من البحر، وأهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عراقاً. وقيل: سمي عراقاً لأنه استكفّ أرض العرب، وقيل: سمّي به لتواشج عروق الشجر والنخل به كأنه أراد عرقاً ثم جمع على عراق. وقيل: سمى به العجم سمته إيران شهر معناه كثير النخل والشجر فُعرّب فقيل عراق. قال الأزهري: قال أبو الهيثم زعم الأصمعي أن تسميتهم العراق اسم أعجمي معرب إنما هو إيران شهر فأعربته العرب فقالت عراق... وقيل:سمي بعراق المزادة وهي الجلدة التي تجعل على ملتقى طرفي الجلد إذا خرز في أسفلها لأن العراق بين الريف والبر، وقيل :العراق شاطئ النهر أو البحر على طوله،وقيل لبلد العراق عراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات عِداءً حتى يتصل بالبحر. وقيل :العراق معرّب أصله إيراق فعرّبته العرب فقالوا عراق"[3].

وكل هذه التأصيلات غير مقنعة وكثرتها تدل على عدم الاقتناع بواحد

(2) ديوان النابغة الذبياني: 23.

(3) ديوان طرفة: 20.

(1) اللسان 10: 247–248 مادة (عرق). وينظر: معجم البلدان 4: 93–94 مادة (عراق).

منها حتى من اللغويين أنفسهم وهي قائمة على الحدس والتخمين وليس على برهان لغوي علمي. والراجح عندي الرأي الحديث لعلماء اللغات القديمة من أن تأصيل اسم (العراق) من اسم المدينة السومرية الشهيرة (أوروك) – التي تسمى الوركاء حالياً وتقع شرقي مدينة السماوة – ويمثل دورها وعصرها الحضاري (3400–3100 ق.م) عصر ازدهار حضارة بلاد الرافدين ونضجها فيما سمي بالعصر الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتأريخي . والتي أحد حكامها كلكامش خامس ملوك سلالة الوركاء بعد الطوفان وقد خلدها في ملحمته المشهورة. وربما لدورها الحضاري الكبير هذا وشهرتها أعطت اسمها للبلاد كلها فسمي بها جميع العراق، ولعل مما يدل على ذلك ما ذكره الآثاريون من أن أول استعمال إقليمي لكلمة (عراق) ورد بصيغة (أريقا) مطلقاً على وسط وجنوب العراق في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ووردت (أورك) في التوراة أي بحدود القرن السادس قبل الميلاد بصورة (إرك) [1]. ولعل التقارب اللفظي بين (أورك Uruk) السومرية و (أريقا) الإقليم البابلي و (إرك) العبرية ولفظ اسم العراق (Iraq) باللغة الانكليزية التي تفتقد إلى النطق بالعين والقاف مما يدل على أن المسمى واحد وهو العراق بالعربية، وأن اسم المدينة السومري أصبح اسم بلد عربي. وليس غريبا إعطاء اسم المدينة للبلد كله فإلى يومنا هذا نجد أسماء الكويت والجزائر وتونس مدناً وبلاداً.

ومن أسماء الأماكن (تيماء) الواقعة في الشمال الغربي من جزيرة العرب والواردة في الشعر الجاهلي كقول امريء القيس:[2]

وتَيماءَ لَمْ يتركْ بها جذعَ نخلةٍ ولا أُطُماً إلاّ مَشيداً بجَنْدَلِ

فاذا ورد اسم (تيمن) في الشعر كقول الحارث بن وعلة الجرمي:[3]

نَجوتُ نَجاءً لم يَرَ الناسُ مثله كأنّي عُقابٌ عند تَيمَنَ كاسرُ

وقول عروة بن الورد:[4]

---

(2) ينظر :مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة/ طه باقر 1: 7–8، 252، 307، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم 2: 150.

(3) ديوان امريء القيس: 25.

(1) ديوان المفضليات: 328.

(2) ديوانا عروة بن الورد والسموأل: 33.

وكيف تُرجِّيها وقد حِيلَ دونها وقد جاورتْ حيّاً بِتَيمَنَ مُنكرا

قال اللغويون والشراح وتبعهم البلدانيون إنها في بلاد اليمن [1]. فهي إذن عندهم غير تيماء الشمالية.

وفي التأصيل العارب أن (تيمن) هي تيماء نفسها، فقد أطلقه عليها بهذا اللفظ الآشوريون والبابليون والعبرانيون والرومان [2]. وما يدل على ذلك أيضاً من الشعر الجاهلي نفسه أن بيت عروة السالف يروى بكلا الاسمين (تيمن وتيماء) مما يؤكد أنهما تسميتان للمكان نفسه، وإن أنكر رواية (تيماء) فيه ابن السكيت وياقوت الحموي بحجة أن تيمن غير تيماء فالأولى في اليمن والثانية شمال الحجاز دون دليل جغرافي [3]. وهذا يؤكد ما ذهبت إليه في بحث سابق لي من عدم دقة البلدانيين العرب في معرفة الأماكن لاسيما الجاهلية[4].

ومن أسماء الأماكن أيضا الواردة في الشعر الجاهلي (تهامة) التي أصّلها اللغويون بقولهم: "تهامة: اسم مكة والنازل بها مُتهِمٌ، يجوز ان يكون اشتقاقها من هذا، ويجوز أن يكون من الأول (أي تغير الرائحة وخبثها) لأنها سفلت عن نجد فخبث ريحها، وقيل: تهامة بلد... وحكى ابن قتيبة في غريب الحديث عن الزيادي عن الأصمعي أن التَّهمَة الأرض المنَصّوبة إلى البحر، قال: وكأنها مصدر من تهامة"[5].

والراجح في الدراسات الحديثة من تأصيلها انها من (تيامَتْ أو تهامَتْ tiamat السومرية و تيامْتُ أو تهامتو tiāmtu الأكدية) إلهة المياه المالحة أي البحار وتطلق مجازاً على سيف البحر وساحله. وتضاهيها تماما (تهوم) في العبرية بداية سفر التكوين من التوراة، وهي في العربية الجنوبية (تهمت

(3) ينظر: معجم البلدان 2: 67–68 مادتا (تيماء وتيمن).
(4) ينظر: معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم 2: 142.
(5) ينظر: معجم البلدان 2: 68 مادة (تيمن).
(6) ينظر: نقد مرجعية المكان في تأويل القصائد الطوال المشهورات أنموذجاً، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد 1/47، 1427 هـ/ 2007 م: 190–213.
(7) اللسان 12: 72 مادة (تهم). وينظر: معجم البلدان 2: 63–64 مادة (تهامة).

وتهمتم)[1]. فتهامة سيف وساحل البحر الأحمر. ومن المرجح عندي أن كلمة (اليم) العربية أي البحر الواردة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم منها أيضاً كما هو واضح من تقارب اللفظين (تيامتُ) و (اليم) وتطابق المعنيين، ولعل منهما (المتيّم) بمعنى الغارق في بحر الهوى . ونلاحظ في تأصيل (تهامة) أن تأصيل الأصمعي لها هو الأصح والأقرب إلى تأصيل اللغات العاربة وغيرها، وكذلك هي أغلب تأصيلاته مما ذكر بعضه سابقاً.

وإذا انتحينا مع تهامة إلى أسماء آلهة الشعوب القديمة العاربة وغيرها وأثرها في تأصيل لغة الشعر الجاهلي بعدت الشقة بينهما كثيراً فلم تكد تعرف الا برويّة وتدقيق وتأمل، واللغويون العرب معذورون في جهل تأصيلها لعدم معرفتهم بها فهي من حصائل العلم الحديث لاسيما في الدراسات الآثارية. فلو قرأنا مثلاً تأصيل اللغويين في معجم اتهم لقول العرب (عَنان السماء) لوجدناهم يقولون: " العنانة: السحابة وجمعها عَنانٌ. وفي الحديث: لو بلغت خطيئته عنان السماء. العَنان بالفتح السحاب ورواه بعضهم (أعنان) بالألف فإن كان المحفوظ أعنان فهي النواحي. قال أبو عبيد: قال يونس بن حبيب: أعنان كل شيء نواحيه ... وقيل عنان السماء ما عنّ لك منها إذا نظرت إليها أي ما بدا لك منها... وحقيقة الأعنان النواحي"[2].

والراجح – كما نبهني إلى ذلك أستاذنا الكبير الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد أستاذ التأريخ في كلية التربية جامعة الموصل – أن تأصيلها يعود إلى الألهة السومرية (إنانا inanna) ألهة السماء العليا ابنة (آنو) إله السماء – الذي يعني اسمه بالسومرية (السماء) – كبير الآلهة السومرية عرشه في السماء الثالثة أعلى السماوات ومعبده في مدينة أوروك هو وابنته إنانا التي تزوجها ورفعها على عرشه في أعالي السماوات – وهي عشتار عند الاكديين – محبوبة البشر عكس أبيها آنو والهة الحب والخير والخصب والحضارة، سماها السومريون والعبريون

(1) ينظر: CDA.p:405 ، قاموس العلامات المسمارية: 295، المفصل في تأريخ العرب 1: 170، من تراثنا اللغوي القديم: 68 المعجم الأكدي 1: 166.

(2) اللسان 13: 294 مادة (عنن).

وغيرهم (ملكة السماء أو السماوات)[1]. فلو أخذنا بالاعتبار إبدال العين في اللغات العراقية القديمة بالهمزة تكون (إنانا) السومرية مطابقة تماماً لفظاً ومعنى لـ (عَنان وأعنان) العربيتين اللتين أصبحتا تعنيان عند العرب في الجاهلية أعالي السماء بعد نسيان وتلاشي عبادة الآلهة القديمة وبقاء أثرها فقط في لغتهم.

ومن ذلك أيضا التأصيل العربي لكلمة (تشتكر) التي قالوا فيها: "اشتكرت السماء وحفلت واغبرّت: جدّ مطرها واشتدّ وقعها، قال امرؤ القيس يصف مطراً:

تُخرِجُ الودَّ إذا ما أشجَذتْ وتُواليهِ إذا ما تَشتَكِرْ

... واشتكرت الرياح: أتت بالمطر، واشتكرت الريح: اشتد هبوبها"[2].

وهم في تأصيلهم هذا يعرفون محصّل المعنى أو دلالته بعد قطعه عن أصله البدائي القديم وتحّوله من الديني إلى الطبيعي. فتأصيل هذه الكلمة يعود إلى الإله السومري (يَشكُر) iškur إله الأمطار الغزيرة والرعود والعواصف، واسمه المشهور عند أكثر الشعوب العاربة التي عبدته ومنهم العرب (ود) أو (أدد) [3]. ولعل اسم القبيلة العربية (يشكر) منه.

ومن هذا النمط أيضا المنقطع عندنا عن ارتباطه بالألوهية كلمة (شهر) المعروفة في العربية بأنها الأيام القمرية أو الشمسية المعدودة. وهي من الكلمات التي يتفق التأصيل العربي لها مع التأصيل اللغوي الحديث، فقد قال في تأصيلها اللغويون: "الشهر: القمر سمي بذلك لشهرته وظهوره... وقال غيره: سمي شهراً باسم الهلال إذا أهلَّ سمي شهراً. والعرب تقول: رأيت الشهر أي رأيت هلاله. وقال ذو الرمة:

يرى الشهر قبل الناس وهو نَحيلُ

---

(1) ينظر: CDA.p:135 ، قاموس العلامات المسمارية: 293، تأريخ حضارة وادي الرافدين/ احمد سوسة 2: 320–325، المعتقدات الدينية في العراق القديم/ سامي الأحمد: 20–21، 28–30.

(2) اللسان 4: 425 مادة (شكر). الودّ: وتد الخيمة. أشجذت: قلّ مطرها. تواليه: وفي رواية الديوان تواريه أي تخفيه.

(3) ينظر: قاموس العلامات المسمارية: 185، من تراثنا اللغوي القديم: 37.

ابن الأعرابي: يسمى القمر شهراً لأنه يشهر به"[1].

فالقمر عند جميع الشعوب العاربة وغيرها التي عبدته إلها له عدة أسماء أشهرها بالسومرية والأكدية (سين sîn، وورخ warḫum urḫu، أو أرخ، arḫu وشهر أو سهر saḫarātum araḫḫu) وشهر خاصة منها هو الاسم الشائع للقمر في العربية الجنوبية والحبشية والأقسام الشمالية الغربية من جزيرة العرب. ومن عد أيامه والتأريخ به انبثقت منه دلالتا الشهر والتأريخ سواء القمري منه أو الشمسي. وفي القرآن الكريم كما يرى اللغويون القدماء والمحدثون ما يدل على صحة هذا التأويل وأن الشهر هو القمر نفسه في الأصل ودلالة الأيام منبثقة منه في قوله تعالى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } [2] أي من رأى منكم القمر فليصم أيامه [3]. وبرأيي أن كلمة (السهر) العربية منبثقة أيضا من اسم القمر (شهر) الملفوظ بالسين (سهر) في بعض اللغات العاربة ومنها الأكدية ربما لارتباط السهر أي امتناع النوم في الليل دلالياً بالنظر إلى القمر.

ومن الكلمات الأخرى المتصلة بالألوهية والتي اقترب اللغويون العرب في تأصيلها بما يتفق مع التأصيل الحديث كلمات (المنية) وجمعها (المنايا) و(المنون) الواردة كثيراً في الشعر الجاهلي والتي يقول اللغويون العرب فيها: "المنى، بالياء: القدر، قال الشاعر:

دَرَيتُ وما أدري مَنى الحَدَثانِ

مناه الله يمنيه: قدّره. والمنى والمنيّة: الموت لأنه قدّر علينا... وقال ابن بري فيه: الشعر لسويد بن عامر المصطلقي وهو:

لا تأمن الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ إن المنايا توافي كل إنسانِ

واسلك طريقك فيها غيرَ مُحتشمٍ حتى تلاقي ما يَمني لَكَ الماني

...معناه حتى تلاقي ما يقدّر لك المقدّر وهو الله عز وجل. يقال: منى الله عليك

---

(1) اللسان 4: 432 مادة (شهر).

(2) البقرة: 185.

(3) ينظر: CDA.p:21، 311، 324 ، المفصل في تأريخ العرب 6: 52–53، 293، 8: 446، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم 2: 127.

خيراً يمني منياً، وبه سمّيت المنيّة وهي الموت وجمعها المنايا لأنها مقدّرة بوقت مخصوص... وقال الشرقي بن القطامي: المنايا الأحداث، والحِمام الأجل، والحتف القدر، والمنون الزمان. قال ابن بري: المنيّة قدر الموت ألا ترى إلى قول أبي ذؤيب:

منايا يُقَرِّبْنَ الحُتوفَ لأهلها جِهاراً ويَستمتعْنَ بالأنَسِ الجُبْلِ

فجعل المنايا تقرب الموت ولم يجعلها الموت " " والمنون: الموت لأنه يمُنُّ كل شيء يضعفه وينقصه ويقطعه. وقيل: المنون الدهر، وجعله عدي بن زيد جمعاً فقال:

مَن رأيتَ المنون عَزّينَ أم من ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ

وهو يذكّر ويؤنّث فمن أنّث حمل على المنيّة، ومن ذكّر حمل على الموت، قال أبو ذؤيب:

أمِن المنون وريبِهِ تَتَوجَّعُ والدهرُ ليس بِمُعتِبٍ من يَجزعُ

قال ابن سيده: وقد روي وريبها حملاً على المنيّة... التهذيب: من ذكّر المنون أراد به الدهر

... قال ابن بري: المنون: الدهر وهو اسم مفرد وعليه قوله تعالى {نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} أي حوادث الدهر ومنه قول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبه تتوجع

قال: أي من الدهر وريبه، ويدل على صحة ذلك قوله:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

فأما من قال: وريبها فإنما أنّث على معنى الدهور"[1].

وهذا التأصيل يتفق في (المَنى) و (المنيّة) مع التأصيل الحديث، فلفظة (منى) من الكلمات المشتركة في مختلف اللغات العاربة وتعني فيه كلها القدر، و(الماني) هو مقدّر الأقدار وهو الإله و(المنيّة) الموت ؛ لأن الموت مقدرّ بوقت مخصوص. وهي بصلة وثيقة وتطابق تام لفظاً ومعنى مع (مني Meni) إله القدر

(1) اللسان 13: 415–417، 15: 292 –293 مادتا (منن) و (مني).

الكنعاني، ومع الصنم (منوات أو منوت) من أصنام ثمود الذي عبده الجاهليون أيضا باسم (مناة) التي تمثّل لديهم ألهة الأقدار والحظوظ والأماني وبخاصة الموت وكل ما هو مخبّأ في المستقبل من سيّء الأقدار [1]. وقد دلّل ابن بري في النص المذكور سابقاً على أن المنيّة لا تعني الموت نفسه بل قدر الموت. أما التأصيل العربي لـ (المنون) فعلى الرغم من أنه من الأصل نفسه (منى) أي القدر لفظاً ومعنى فقد جعلوه من أصل لغوي آخر وهي (المُنّة) أي القوة وأوّلوا معناه بالموت ؛ لأنه يضعف القوة ويقطعها! والأغلب عندهم كما أوّلوا ظاهر النصوص لاسيما القرآن الكريم والشعر الجاهلي أنه بمعنى الدهر وحاروا في سبب إفراده وجمعه وتذكيره وتأنيثه. والصحيح عندي وفقاً للتأصيل العارب أنه بمعنى القدر ، ولاسيما قدر الموت وعلى هذا المعنى تذكيره وإفراده، أما جمعه فعلى معنى (الأقدار) كما في بيت عدي بن زيد، وكذلك تأنيثه بمعنى الأقدار أو المنية. أما معنى (الدهر) والتأصيل به فهو ما فهموه من ظاهر السياق على الحدس والتخمين والتأويل دون التأصيل العلمي الصحيح.

وأود هنا أن أنبه إلى أمر مهم في هذه التأصيلات التي أوردها مما قد يفهم بشكل مغاير عما أردت قوله منها وذلك أني حين أؤصّل الكلمة بإرجاعها إلى إله عارب أو غير عارب أو إلى كلمة عاربة أو غير عاربة فإني لا أعني بذلك ان العربية قد أخذتها منها ولكني أعني أن هذه الشعوب المتجاورة التي ترجع إلى أصل واحد لغةً وجنساً – عدا السومريين – تكاد تعبد الآلهة أنفسها قديماً وألفاظها متقاربة جداً مع بعضها وربما لا ابتعد عن الحقيقة إذا شبهّت تقاربها اللغوي الكبير مع اختلافها عن بعضها في الدلالة والتلفظ وغير ذلك بتقارب اللهجات في البلد الواحد كقرب لهجة أهل الموصل من لهجة أهل بغداد وكليهما من لهجة أهل الجنوب من العراق نفسه على الرغم من الاختلاف الظاهر فالكل يفهم أحدهم الآخر، وربما الأكثر تطابقاً في تشبيه التقارب بين اللغات العاربة وغيرها قديماً أن أشبهها بتقارب اللهجات القطرية لوطننا العربي في وقتنا الحاضر فهناك تقارب كبير جدا بين لهجات العراقي والسوري والمصري واللبناني والسعودي واليمني

(1) ينظر: المفصل في تأريخ العرب 6: 157 –158، 250.

والليبي والمغربي بحيث يفهم أحدهم الآخر في عربيته المحلية العامية على الرغم من الاختلافات المعنوية واللفظية بينهم الظاهرة والواضحة. هذا التقارب اللغوي الكبير بين الشعوب هو ما أرصده في التأصيلات التي أذكرها وليس بمعنى أن العربية قد أخذت اسم الإله أو الكلمة من اللغات العاربة الأخرى أو غير العاربة لاسيما مع العلم بـأن العربية هي الأقرب إلى اللغة العاربة الأم المفترضة التي انبثقت منها كل اللغات العاربة كما يرى أغلب اللغويين المحدثين مستشرقين وعرباً، فالأولى إذن منطقياً أن تأخذ منها اللغات العاربة الأخرى لا أن تأخذ هي من تلك اللغات[1]. ولكننا أيضا لا ننحاز إلى لغتنا فنقول بذلك بل نقول ما يقتضيه العلم من أنها مؤثرة في تلك اللغات وغيرها ومتأثرة بها في الوقت نفسه، وما دمنا إلى الآن لا نعرف علمياً وقطعياً من المؤثر ومن المتأثر في التأصيلات التي نذكرها فإننا نكتفي بذكر التقارب والاشتراك في الأسماء والكلمات والمعاني والتأصيل بذلك دون أن نحدد من التي أخذت من الأخرى من اللغات العاربة أو غيرها. ونرى أن هذا التأصيل أدق وأولى وأكثر علمية من التأصيل المعجمي العربي القائم في الغالب على الحدس والتخمين والتأويل من سياق النصوص وظاهرها ومن ألفاظ الكلمات أنفسها لمعرفة دلالاتها ومعانيها وتأصيلها، وان كان هذا التأصيل العربي –والحق يذكر –يلتقي في الغالب كما وجدنا في هذا البحث وسيجد غيرنا مع التأصيل العلمي باللغات العاربة وغيرها ولو في محصّلات المعاني والدلالات دون الأصول الأولى للألفاظ والكلمات.

وشيء آخر أشرت إليه وأريد التنبيه عليه أيضا أن الكثير من الكلمات تجرّدت في العصر الجاهلي من أصولها الإلهية القديمة إن كانت اسم إله أو غير ذلك وعادت إلى أصلها الأول وهي كونها أسماءً لظواهر طبيعية أو معنوية – وإن كان العصر الجاهلي نفسه عصر ألوهية وثنية كالأزمنة القديمة – وبقي القسم الآخر منها مرتبطاً بالإلوهية. فمثلا إله (الرعد) عند الشعوب العاربة كلها جعل لفظ اسم هذه الظاهرة الطبيعية (الرعد) اسماً له عبدته تلك الشعوب على اختلاف

(1) ينظر: اللغات السامية: 13، 24، تأريخ اللغات السامية: 7، المعجم الأكدي 1: 14.

لفظه فيها لاسيما منها التي لا تلفظ الراء والعين أو تبدلهما فيلفظ فيها بصيغ (أد) و (أدد) و(هدد) و (حدد) و (ود) ومنها العربية القديمة، ثم نراه في عربية العصر الجاهلي عائداً إلى أصله الأول الطبيعي منقطعاً عن الألوهية بلفظة (الرعد) ونراه في الوقت نفسه وبتأثير العصور القديمة وعربيتها قد احتفظ باسمه القديم وألوهيته في اسم الإله (ود) أو (أدد) الجاهلي.

1430هـ/2009م

Criticizing the Linguistic Origination of Pre-Islamic Poetry

Asst. Prof. Dr. Basim I. Qasim*

Abstract

This research is a modern attempt to review and examine the linguistic origination of the words and lexical items of our Arabic of what our ancient linguists had written.

The researcher has found that this origination is based on estimation and intuition, in addition to scientific perception, inference, and induction which our linguists are characterized by its good features and merits. On the other hand, this may be part of the weakness which enables us to enter into this field and to examine its accuracy, scientificness, and using modern linguistic knowledge in our age. Thus the researcher has intended to discover and to know the ancient A'riba languages (sisters of the Arabic language) to examine the Arabic linguistic origination as well as reviewing it by depending on contrastive linguistics between Arabic and closely related languages. The origin of them are almost the same. This is instead of relying on estimation and intuition Arab linguists whenever they don't know the abstract origins of some words and utterances. The researcher has based his comparison on

* Dept. of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.

the pre-Islamic poetry utterances since they are the essential in the origination of the Arabic language and because it is the researchers domain. So, can we get use of contrastive linguistics with the ancient languages by a new origination of the meanings of Arabic language in a way different from that adopted by our old Arab linguists? This is what the researcher is trying to prove.